مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (35) العدد (6)2013
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (35) No. (6) 2013

صورة المدينة في ديوان عبد العزيز المقالح

الدكتور خالد عمر يسير*

(تاريخ الإيداع 14 / 11 / 2012. قبل للنشر في 10 / 9 / 2013)

□ ملخّص □

يتناول البحث صورة المدينة في ديوان الشاعر عبد العزيز المقالح، ويتتبَّع الأبعاد الموضوعيَّة لها، ويبيِّن أهميَّتها، وتنوعها، وتوظيفها توظيفاً،ارتبط بقضايا اليمن، وبالعروبة، وبقضايا إنسانية عامَّة.ويتناول أيضاً الأبعاد الجمالية لصورة المدينة، ويتتبع لغتها، وموسيقاها، واستفادتها من التراث استفادة متعدِّدة الأبعاد.

وحاول البحث أن يحدِّد خصائص صورة المدينة عند الشاعر التي ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بقضايا اليمن واليمنيين، والتي جعلتها متميزةً من غيرها عند شعراء عرب آخرين أمثال: البيَّاتي، وعبد الصبور، وحجازي، وغيرهم.

وأشار الباحث إلى نجاح الشاعر في إيصال رسالته إلى القارئ، ساعده على ذلك صياغةٌ لغويةٌ بسيطةٌ قريبة التناول، ينطبق عليها مقولة: (السهل الممتنع)، وصدقُ موقف فكري، ينطبق عليه مقولة: (ماينبع من القلب يصبُّ في القلب).

الكلمات المفتاحيَّة:

- المدينة.
- التُّراث.
- التَّناص.
- الموسيقا.

*أستاذ مساعد– قسم اللغة العربيَّة– كليَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة– جامعة تشرين– اللاذقية – سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (35) العدد (6)2013
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (35) No. (6) 2013

The Image of The City in The Divan of Abdul-Aziz Al-mukaleh

Dr. Khaled Omar Yaseer*

(Received 14 / 11 / 2012. Accepted 10 / 9 / 2013)

□ ABSTRACT □

The research deals with city image in the divan of the poet Abdul-Aziz Al-mukaleh. It searches for the objective dimensions of the image and shows its importance and variety devoting itself for the image in a way related to general native, national and human issues.

It also deals with the aesthetic dimensions of the city image, and investigates its language, music and how it can get benefit of the heritage in a multi-dimensional way.

The research has tried to define the features of the city image at Al-mukaleh, which are related tightly to Yemen and its history, and that has made the city image – at Al-mukaleh – more distinguished than that of other Arab poets, like Al-Bayani, Abdul-Sabour, Hijazi and others.

The researcher has also referred to the poet's success in conveying his message to the reader, and what helped him to do that was a clear linguistic form, which we can say about it: " easy but rather impossible ". And an honesty of an intellectual attitude which is equal to the saying: "what comes from the heart pours in it ".

Keywords:
- City
- Heritage
- Textuality
- Music

* **Associate Professor, Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Tishreen University, Lattakia, Syria.**

مـقـدِّمَة:

عرف شعرنا العربي الحديث موضوع المدينة نتيجة تأثُّره بشعر الغرب، وليس تطويراً لما ورد في تراثنا الشعري مثلما جاءنا من شعر الشاعرة ميسون بنت بحدل: زوج معاوية بن أبي سفيان – كما سنرى –.

واحتلَّت المدينة مكانةً بارزةً لدى الشعراء الرومانسيين من خلال ثنائية \ القرية. المدينة \، فقد نفروا من ازدحام المدينة، وضجيجها إلى هدوء القرية، والعيش في أحضان طبيعتها الجميلة. هذه الثنائية غابت عن شعراء الحداثة، وصارت المدينة . في شعرهم . رمزاً لإحساسهم بالغربة من جهة، ورمزاً لتناقضاتها من جهة ثانية.

ويُظهر البحث* أنه يمكن تقسيم موقف الشعراء العرب من المدينة إلى فئتين: فئة من نَقَمَ عليها، وسخط عليها، وعلى تناقضاتها، مثل: أدونيس، والبيَّاتي، وغيرهما . كما سنرى . ، وفئة من أحبَّها، وتعايش معها، وتغنَّى بجمالها، مثل: شعراء السودان، ونزار قبَّاني، وشاعرنا عبد العزيز المقالح.

وتتنوَّع هوية المدينة عند المقالح، فهي مرَّة يمنية، وأكثرها ذكراً وأهمية – في ديوانه – مدينة "صنعاء"، وقد تكون عربية، وأبرزها "القدس"،وقد تكون عالمية، وأبرزها المدن في البلدان الاشتراكية، مثل: "بكِّين".

وقد وظَّف الشاعر صورة المدينة لغايات ثلاث: الأولى للتعبير عن قضايا وطنية، تخصُّ اليمن، مثل طغيان الساسة،والثانية للتعبير عن قضايا قوميَّة، مثل تحرير "القدس"، والثالثة للتعبير عن قضايا فكريَّة إنسانيَّة ذات صلة بالفكر الاشتراكي.

واهتمَّت الدراسة الفنيَّة بدراسة الظواهر الموسيقيَّة في الديوان، التي توزَّعت بين القديم، مثل: النظم على البحور الشعرية المعروفة ذات البيت الشعري ذي الشطرين، والقافية الموحدة، والروي الواحد،مثل: التصريع، وغير ذلك، والظواهر الموسيقيَّة الحديثة، مثل: التنويع في القافية، وفي طول الأسطر الشعرية وقصرها، مثل: التناوب، وغير ذلك.

ومما تناولته الدراسة – هنا – استدعاء التراث: موسيقاه، وشخصياته، وشعره، ودراسة لغة المقالح الشعريَّة. وبيَّنت الخاتمة أنَّ الشاعر نجح إلى حد كبير في إيصال رسالته الفكرية إلى قارئ ديوانه، ساعده على ذلك لغةٌ شعريَّةٌ، سهلةٌ، قريبةُ التناول، واستخدامه صوراً بعيدةً عن التعقيد، وعاطفة صادقة.

أهـمـيَّـة البـحـث وأهدافــه:

تبدو أهميَّة البحث في تناوله صورة المدينة عند الشاعر عبد العزيز المقالح التي يتمُّ تناولها لأول مرة – في حدود اطِّلاعي –،ويهدف إلى تحديد خصائصها عنده، وإلى مقارنتها بغيرها من صور المدينة عند شعراء آخرين، مثل: البياتي، والسيَّاب، وعبدالصبور، ونزار قبَّاني، وذلك بغية الوصول إلى دلالاتها عند المقالح، وإلى ما يميِّزها من غيرها من صور المدينة عند غيره من الشعراء المذكورين؛ ليكون هذا البحث لبنة تنضم إلى دراسات كثيرة تناولت صورة المدينة في الشعر العربي الحديث.

*أجري البحث في جامعة تشرين بين شهري آب وت2012/1/.

منهجية البحث:

اعتمد البحث خطوات علميَّة متعددة، ففي مجال اختيار النصوص الشعرية المدروسة لجأ الباحث إلى "الاستقراء والاستنتاج"، واستفاد من المنهج النفسي حين ربط هذه النصوص المختارة بمبدعها، واستفاد أيضاً من المنهج التاريخي حين رصد تطور صورة المدينة في ديوان المقالح.

وربما كانت دراسة النصوص الشعرية وتحليلها، وتحديد أبعادها الموضوعية والجمالية،هي الخطوة الأبرز بين الخطوات السابقة.

تمهيد:

يعرِّف جون جونسون شعر المدينة بقوله: **(هو الشعر الذي يصف مدينةً واقعيَّةً وصفاً مباشراً، أو يصف البشر الذين تتأثَّر حياتهم بتجربتهم في مثل تلك المدينة تأثُّراً واضحاً. ومعنى هذا أنَّ اختياري لن يتضمَّن الأحلام والرؤى، والأوهام، والخيالات التي لها علاقة واهية . أو لاعلاقة لها البتَّة . بالمدينة الواقعيَّة)** [1]. ينضوي هذا التعريف تحت المفهوم الواقعي للفن،الذي يغلِّب المضمون على الشكل . وهذا ما حاول الباحث أن يتجنَّبه . ،والذي يعتمد على نقل الواقع الحقيقي، أو على انعكاسه في الفن، ممَّا يحيل العلاقة بين الفن والواقع على علاقة قائمة على التأثُّر والتأثير في الحياة المعيشة، ويجعل العلاقة بين الشاعر والواقع علاقة حيَّة قائمةً على قبوله، أو رفضه.

فقد وقف شاعر القرن العشرين موقفاً معادياً من المدينة ورموزها، بلغ ذروته لدى ت ، س ،إليوت في قصيدتيه: **(الأرض الخراب ، والرجال الجوف)**، ووصل حدَّ انهيار الحضارة عند آرنولد توينبي، وسقوطها عند كولن ولسون [2] ؛ لذا فإنَّ شعر المدينة ثورة حضاريَّة ، وتأسيس لما يجب أن تكون عليه حضارتنا وواقعنا [3]،ويرى معظم النقَّاد أنَّ موضوع المدينة في الشعر العربي الحديث غربي النشأة، ومرتبط بالقرن العشرين،ومنجزاته [4].

المدينة في الشعر العربي:

لقد عرف شعرنا العربي القديم موضوع المدينة، وأبيات الشاعرة ميسون بنت بحدل . التي تزوَّجها معاوية بن أبي سفيان . ، ونقلها إلى حاضرة الشام، والتي تعبِّر فيها عن إحساسها بالغربة، وحنينها إلى البادية دليلٌ على ذلك :

لبيتٌ تخفق الأرواح فيه أحبُّ إليَّ من قصر منيف
ولبسُ عباءة وتقرَّ عيني أحبُّ إليَّ من لبس الشفوف
فما أبغي سوى وطني بديلاً فحسبيذاك من وطن شريف[5]

إنَّ إقامتها في الحضر "دمشق" جعلتها تشعر بالغربة، وبالحنين إلى البادية، وكأنَّنا نكرِّر اليوم هذه المعادلة، ولكن مع تعديل طفيف في تسمية الأماكن، فتصبح: (الريف . المدينة) بدلا من: (المدر . الحضر)، ويبدو هذا جلياً في شعر الرومانسيين.

وإذا مامضينا نحو نهاية القرن الهجري الثاني في فترة صراع الأخوين: الأمين والمأمون، فإنَّنا نرى أنَّ فكرة المدينة تبدو واضحةً: **(فكان لبغداد المدينة والوطن،وعاصمة الشرعيَّة، الحضور الأقوى في نفوس الشعراء، فكيان المدينة الأنيقة، بهندستها المعماريَّة، العامرة بكل جميل وممتع، مزروع في نفوس الشعراء، من حيث المعنى والوجود، وبذلك كان بكاء بغداد إرهاصاً مهماً لفن رثاء المدن والممالك في الشعر العربي . فيما يبدو . ، وفي شعر الأندلس بصورة خاصة)** [6].

وقد برزت صورة المدينة في الشعر الرومانسي من خلال ثنائيَّة (المدينة . القرية) فعبَّر الشاعر الرومانسي عن إعجابه بالطبيعة وهدوئها، وجمالها،و.....،وهي أمور افتقدها كثيرا في المدينة الإسمنتية الصاخبة، التي تستهلك ساكنها جسداً، وروحاً.

ثمَّ تغيَّرت هذه الرؤية للمدينة عند أصحاب الشعر الحر: **(حين فاضت قريحة الشاعر العربي المعاصر بالشعر الحرِّ تغيرت رؤيته الموضوعيَّة، ولم يقنع من مدينته ببقائه متفرِّجاً خارجها، مبهوراً بصفاتها المثاليَّة،أو ناقماً على صفاتها القبيحة، لقد حقَّق في الموضوع إنجازاً جوهرياً، هو أنَّه حاول أن يتحدَّث عن المدينة من داخلها، وعن طريق العيش فيها، وقد اتَّخذ ا\التجريب\ بدل \ الفرجة \ أساسا بنى عليه موقفه من مدينته. وهذا. دون شك . هو الفارق المهم بين الرؤية الرومانسية للمدينة، ورؤية الشاعر الحر لها)** [7]. فقد صارت المدينة . هنا . مرآة تعكس واقعها:. حلوه ،ومرَّه . ، وإن كانت المرارة هي الغالبة على ما تعكسه هذه المرآة.

لقد تحوَّلت المدينة إلى رمز يعكس غربة الشاعر، وإحساسه بالغضب من تناقضاتها من جهة، ويعكس رفضه للسياسيين الطغاة، الذين كانوا السبب الرئيس في تناقضاتها ومشاكلها، ومعاناة الإنسان فيها من جهة ثانية.

والباحث في موقف الشعراء العرب المعاصرين من المدينة يرى أنَّهم فريقان: الأوَّل يشعر بالقلق والغربة فيها ، يمثِّلهم البياتي: **(والمدينة لديه ترتبط بالقلق الإنساني /الوجودي/، وبالأمل الضائع، وبالفقر الروحي، والمادي، وبمراحل العمر الخاوية، التي تنتقل من جدب إلى جدب)**[8]، ويمكن أن يضاف إلى هذا الفريق السيَّاب، وحجازي، وعبدالصبور[9]، وأدونيس ، وغيرهم.

والثاني محبٌّ لمدينته عاشقٌ لها مثل معظم شعراء السودان الذين أحبُّوا مدينة الخرطوم: **(إنَّ أحداً من الشعراء المحدثين لم يعشق مدينته كما عشق الشعراء السودانيون مدينة الخرطوم، فهي عند الكلاسيكيين راية، ومجد، وعند الرومانسيين أغنية، وحلم. أمَّا الواقعيون فرأوا أنَّ لها شخصيَّةً متميزة على الرغم من فقرها، واختلاف الأجناس فيها. ورغم الحزن الذي يغشى . كالغبار . بعض ملامحها التي لاتبتسم إلا بقدر)**[10]، ومدينة بغداد عند الشاعر عبدالرزَّاق عبدالواحد [11]، و دمشق عند نزار قبَّاني التي شغلت مكانة طيِّبةً في شعره،فالعشَّاق يُنسبون إليها،والثرى الطاهر ثراها، والسيوف المذهَّبة دمشقيَّةٌ، وهي "شامة الدُّنيا، ووردتها " ، ويتوحَّد بها توحُّداً يُذيبه فيها:

أنا الدمشقيُّ لو شرَّحتم جسدي لسال منه ..عناقيد ، وتفَّاح [12].

المدينة في ديوان الشاعر المقالح:

أ . تمهيد:

تبرز صورة المدينة جليَّةً في الشعر اليمني المعاصر، فقد ذكر شعراء اليمن أسماء كثير من مدنهم في أشعارهم، يقول عمر الجاوي ذاكراً مدينة صعدة:**(من الأفواه عنقود ايزدرد الرملة في صعدةاويضفر صاحبي جعدة \ أليس الورد في فخذ العراة دموع ** [13]، ويذكر مدينة "**سبأ**" في موضع آخر: **وجئتك من سبأ \ جئت حافي اليدين ، وملء العيون ابتسامة \ وكان على السطح بيض النسور المصنَّع من نفط نجران \ وفي الركن ريش النعامة \ ... \ وجئتك من سبأ \ جئت أحمل غصنا من الحزن سر بقاء الملوك \ الأئمَّة والأرصدة)**[14]، ويذكر الجاوي مدناً أخرى في مواضع كثيرة من شعره، مثل : نجران،والجنديز، وغيرهما [15].

وتبرز مدينة "**صنعاء**" مريضةً بالسل، والجرب في شعر عبد الله البردوني:

ماذا أحدِّث عن صنعاء ياأبتي مليحةٌ عاشقاها السل والجرب

ماتت بصندوق (وضَّاح)بلا ثمن ولم يمت في حشاها الحبُّ والطرب[16].

إنَّ الشاعر يرفض واقع المدينة من خلال تصويره تصويراً بشعاً، ولكنَّه لايفقد الأمل في تغييره: " **في حشاها الحب والطرب** ".

وتبرز في شعر البردوني مدن عربية، وأخرى عالمية، مثل: حيفا، وخيبر،وسايجون؛لتدل على موقف إنساني للشاعر، يتعاطف فيه مع الإنسان من أي مدينة كان [17]. إنَّ صورة المدينة في الشعر اليمني المعاصر تحتاج إلى بحث خاص بها،ربَّما أُتيحت فرصة قادمة لي، أو لغيري للعمل عليه.

أمَّا صورة المدينة في ديوان الشاعر عبد العزيز المقالح فإنَّ قارئه يدرك أنَّ تصويره لها يتوافق مع ما ذهب إليه جونجونسون في تعريفه لشعر المدينة، فالمقالح يصوِّر في شعره مدينةً حقيقيةً يعيش فيها أناسٌ يتألَّمون، ويأملون، و ... وقد صوَّر مدناً كثيرةً: يمنيةً، وعربيةً، وعالمية.

ب . مدن يمنيَّة:

إنَّ أبرز المدن اليمنيَّة التي صوَّرها الشاعر هي مدينة "**صنعاء**"، التي تبدو صورة عن الوطن الكبير اليمن، وهو يقف منها موقف المُحِب،والعاشق لها، والمضحِّي في سبيلها، وموقف الذي يحدوه أمل كبيرٌ في نهضتها، وتجاوز عثراتها.

تبدو "**صنعاء**" في قصيدة "**من يوميَّات سيف بن ذي يزن في بلاد الروم**" حبيبة مهانة، تتعرَّض وأهلها لأبشع المعاناة: **(ألمح صنعاء ..\ يمرُّ طيف مأرب على القمر \ألمح في النجوم أطياف النساء باكيات ألمح الشجر\ بلا ثمر \ ألمح وجه (أسوَد) دميم \ يغتصب ابنتي \ ينزع عن جبينها الصغير هالة الشعر \ أسمع صوته اللئيم \ يحفر لاهياً على ظهور أهلنا مهزلة القدر)**[18].

إنَّ هذه المعاناة لا تقتصر على الإنسان فقط، وإنما تطال حتى العصافير– رمز البراءة والطهارة التي أصبحت بلا مأوى:**(عصفور ضلَّ بلا مأوى \ ذهلت عن غربته الأعشاش \ فبكى:\ ثار،\ تغنَّى،\ هل تدري ثورته الأحراش؟)**[343].

وتبدو صنعاء في قصيدة "**اليوميَّة الناقصة**" امرأةً زانيةً:**(صنعاء ...\ يوامرأة*لاتفتأ تحبل \ تزني أحياناً \ وأحايين تصلِّي تتبتَّل\احياناً ترفض أزواجاً تأكلهم\ وأحايين كثيرات تُؤكل\ فمتى تتعلَّم معنى الرفض، ومعنى أن تقبل ؟)**[344].

إنَّ صورة المرأة البغي مفرز مديني، تناولها الشعر الغربي، وتأثَّر به الشِّعر العربي، وقد برزت واضحةً في أشعار كثيرين من الشعراء العرب، منهم: نزار قبَّاني، والسيَّاب، وأمل دنقل، وآخرون [19].

إنَّ تصوير الشاعر لصنعاء موزَّع على معظم قصائد الديوان، وتبدو صورها متنوِّعة، فهي تارة **(بين جلاَّد، وسجَّان،تنهشها عصابةٌ من تماسيح، وجرذان)**[413]، وهي تارة أخرى وطنٌ يشتاق إليه:

غير أنِّي إلى بلادي مشوق كلُّ عين تهفو إلى صنعاء[422]

وأحياناً تحمل "**صنعاء**" أكثر من وجه، ويعدِّد وجوهها عبر التاريخ، ثمَّ يستقرُّ على الوجه الذي رآه في المنام: **(خارجاً . كان . من رحم اللَّيل \ ممتطياً مهرة الفجر\ في كفِّه الشَّمس تختال في ثوبها \ ونخيل الجزيرة ...أسباطها يسجدون حواليه\ هذا إذن وجه صنعاء...\وجه التي عذَّبت كلَّ عشَّاقها\ واستكانت لجلاَّدها)** [575]. إنَّه الوجه الذي يحمل في طيَّاته الأمل في انتهاء الظلم والظلام، ويبشِّر بفجرٍ قادمٍ تتحقَّق فيه إرادة الإنسان الحر.

إنَّ صور"**صنعاء**"التي رأيناها مهانةً،وبغياً، وذات أوجه متعدِّدة لم تمنع الشاعر من أن يحبَّها، ويفكِّر في القضاء على أحزانها، وتطبيب جراحها:

يوماً تغنَّى في منافينا القدر لابدَّ من صنعا وإن طال السفر
لابدَّ منها ..حبنا.. أشواقها تدوي حوالينا إلى أين المفر؟
إنَّا حملنا حزنها وجراحها تحت الجفون فأورقت وزكى الثمر

.....

هي لحن غربتنا ولون حديثنا وصلاتنا عبر المناجم .. في السهر[23و24]

قدَّم الشاعر صورة "**صنعاء**" . غالباً . على أنها جزءٌ من الوطن الكبير "**اليمن**"، ورمزٌ له؛ لذا فهي تستحق أن نقدِّم لها: **(أخصب ما جادت به القرون \ أنصع مولود لأرضنا الحنون \ لأمِّنا صنعاء)**[30]، وتستحق أن نتغنَّى بمآثرها:

وثأرتِ ياصنعاء رفعتِ رؤوسنا بعد انكسار
أخرجت من ظلماتك الحبلى أعاصير النهار
وولدت هذا اليوم بعد ترقُّب لك وانتظار
فأتى كما شاءت إرادات المنى وهج انتظار[112]

ومدينة "**صنعاء**" هي الوطن الكبير"**اليمن**" وقبلة أشواقه، وحنينه:

وطن النهار ومعبد الزمن أنا عائدٌ لأراك يا وطني
صنعاء تدعوني مواسمها وعواصف الأشواق تعصرني
أنا أنت في حزني ، وفي فرحي أنا أنت في صحوي وفي وسني[454]

وهي ذات وجه لا يشيخ، ويستطيع أن ينقذ اليمنيين من أحزانهم، ويزرع الأمل فيهم: **(ينقذني وجه صنعاء الذي لايشيخ \ الذي لا ينام \ الذي لا يعاشره المستحيل\ الذي في المنام رأيتُ ابتسامته \ تُشهِر السيف في وجه أحزاننا \ تتحدَّى سجون الإمامة والحرس الخاص، \ تنشر سحب التفاؤل فوق العيون التي يزرع الجدب\ أجفانها خشباً ورمالاً من اليأس)** [577].

وتأتي مدينة "**عدن**"في المرتبة الثانية بعد "**صنعاء**" ، ولكن دون أهمِّية الأولى بكثير، فقد خصَّها بقصيدة **(عدن .. ودونكيشوت)**، وذلك إثر حملة عسكرية تأديبيَّة لحكومة الشباب هناك،أرسلتها القيادة اليمنية حينذاك، عبَّر المقالح فيها عن تحدِّيه، ووعيده، وسخريته منها، وبنبرة خطابية واضحة:**(بعيدةٌ \ بعيدة عدن\ الشَّمس يا ملوَّث اليدين\ يا ملوَّث الأفكار والبدن\ أقرب من عدن \ فاركب حصانك الهزيل ، شُدَّ سيفك المكسور\ حلِّق وراء .. خارج الزمن\ فتِّش لأحلامك يا مأفون عن قبور\ فتِّش لأوهامك عن وطن)**[163].

وفي قصيدة "**مواجيد مغترب**" التي جعلها في قسمين: الأوَّل في مدينة "**صنعاء**"، والثاني في مدينة "**عدن**" يُظهر الشاعر فيها حنينه ، وشوقه إليهما، يقول في القسم الثاني:

وطن النهار وقبلة الأبد أنا عائدٌ لأراك يا بلدي
"عدن" تناديني وتسألني أمواجها محمومة الزبد
لِمَ لا تعود؟ غسلتُ شاطئها ومسحتُ وجه الليل والرمد

.....

أشتاقها بيتاً ومقبرةً أشتاق يومي فوقها وغدي[456]

وقد تكرر ذكرها في مواضع عدَّة من الديوان، وهو ذكرعابرٌ ،لم يتوقَّف عنده الشاعر ملياً[334، و436، و456، و609].

أمَّا المدن الأخرى من اليمن فقد كان ذكرها نادراً، مثل: "**مأرب، وذمار،وزبيد**" (331،و436،و560). إنَّ تركيز الشَّاعر على ذكر "**صنعاء، وعدن**"ذكرًا كثيرًا؛ يعود لأمر خاص به، فقد أقام في صنعاء مدَّة طويلة: فترتي الدراسة، والعمل، ولأمر عام يتمثَّل في الأهمية السياسية، والاقتصادية لهاتين المدينتين.

ج . مـدن عربيــة:

ويتجاوز المقالح ذكر المدن اليمنية إلى نظيرتها في الوطن العربي، ولا تتعدَّى المدن المذكورة في الديوان أصابع اليدين، وربَّما أبرزها مدن فلسطين، ففي قصيدة "**الصوت والصدى**" من ديوان "**مأرب يتكلَّم**" إشارةٌ واضحةٌ فيها إلى مأساة فلسطين التي بلغ عمرها . آنذاك . عشرين عاماً،ولا يذكر اسم فلسطين أو مدنها. هنا . ، ولكن يُفهم أنها هي المقصودة من خلال مناسبة القصيدة "**في الذكرى العشرين للنكبة**" ، ويرمز لفلسطين ب "الصوت" :

(الصوت

عشرون عاماً لم أنم\ عيناي جثَّتان ينهشُ الظلامُ فيهما \ وينخر الألم \ حنجرتي مقطوعة ، صرت بغير فم \ صرخت \ مات الصوت في الأعماق \ الريح حولي ترسم الإخفاق \ تأكل ما تبقَّى من حروف الأمل القديم \ والأشواق)(192)، وتغلب على القصيدة مشاعر الحزن، واليأس، و مشاعر الإخفاق المستمر الذي يكاد يقضي على الأمل بالنصر. ومن المدن الفلسطينية التي ذكرها مدينتا "**يافا، والقدس**"(507، و628، و631)، وتترافق مشاعر الأسى والحزن مع ذكر هذه المدن أيضاً.

ومن المدن العربية **نينوى، وبغداد، والإسكندرية، وعمَّان، وبيروت** (198، و271، و401، و631)، و تتنوَّع مشاعر المقالح . هنا . تبعا للمناسبة التي تُذكر فيها المدينة، وتأتي أحياناً في سياق الذكريات، ومشاعر أخرى مثل الحنين إليها، أو التعاطف معها.

د . مدن غير عربية:

تناول المقالح في ديوانه هذا مدناً عالميةً،أبرزها "**بكِّين**"، و "**غرناطة**"، و"**سانتياغو**"، وعددها قليل لا يتجاوز عدد أصابع اليد، وذكرها مرتبطٌ باتجاهه السياسي المؤيِّد للاشتراكية، والمناصر للعمَّال والفلَّاحين.

لقد أفرد لمدينة "**بكِّين**" قصيدة، عنوانها "**قبلة إلى بكِّين**" التي يُظهر فيها موقفه السياسي المؤيِّد للاشتراكيَّة، فهو معجب بالمدينة، وبقائدها "ماوتسي يونغ"، ويبدو هذا الموقف من عنوانها، ويستمر على مدى القصيدة: **(متى أمرُّ تحت قوس النَّصر في ساحتك الحمراء\ أرسم قبلةً على الجبين \جبينك الأخضر يابكِّين \ أُطلق باسم اليمن الخضراء\حمامةً بيضاء\ متى أسير لو أمتار\ في الدرب حيث سارت رحلة النهار\ رحلة ماو والرجال والأنصار\رحلة كلِّ الطيبين \ متى؟\ متى أراك يابكِّين ؟)**(139، و140). فالثورة الاشتراكيَّة في الصين نموذج رائع للاحتذاء، إنَّها "**رحلة النهار**" التي تطرد الظلام. وهي جديرة بأن تكون قدوةً لليمن.

ويذكر من المنطلق الاشتراكي نفسه مدينة "**غرناطة**" في إسبانيا في قصيدة، عنوانها "**الشَّمسلا تمرُّ بغرناطة**" يناصر فيها حركة العمَّال والفلَّاحين: **(يجري تحت حوافرها نهر العرق الأسيان\ تسير به سفن العمال المكدودين\ يبنون قصوراً وجسوراً للمال\يشربه، \يشربهم في علب الليل، كبار الملاَّك!\ وتنام جياعاً أطفال العمَّال!\..... لماذا يامدناً نائمةً عجفاء \ من لا يعمل يأكل فاكهة الشمس، ويشرب كأس الأرض ، \ ومن يعمل لا يجد الكسرة .../ لا يجد الماء ! !)**(541، و542). أسلوب مباشر،و**(نثري لموضوع الاشتراكيَّة ، فليس فيه أكثر من عرض ساذج للصراع بين العمَّال والفلَّاحين والإقطاع، خالٍ من روح الشعر)**(20).

ويذكر الشاعر مدينة "**سانتياغو**" في قصيدة، عنوانها **(الظلام يسقط على سانتياغو)** التي يناصر فيها ثورتها ضدَّ الجنود البرابرة المتخمين الذين يسيرون على جثث الناس بأوامر من أسيادهم ، ويرى أنَّه يعيش حالة مشابهة، تمنعه من مشاركتهم في ثورتهم: **(اعذري سفني .. كيف أعبر نحوك ؟ / رجلاي في القيد والطرقات محاصرة بالجنود / ونفط الجزيرة يشرب صوتي / يبعثره في الفضاء دخانا / يصادر عشقي)**[595]، وكأنَّ المقالح يقول لسانتياغو: إنَّنا نعاني ممَّا تعانين، وإنَّنا لنأمل أن نثور كما تثورين. ينطلق الشاعر في ذكره لهذه المدن من أجل مناصرة العمَّال، والفلاَّحين المقهورين أينما كانوا.

توظيف صورة المدينة في شعر المقالح:

يختلف توظيف المدينة في الشعر العربي المعاصر من شاعر لآخر، وذلك تبعاً لتجاربهم في المدن التي عاشوا فيها، فهي عند البيَّاتي ليست قيمة ثابتة، وإنَّما هي مرآةٌ للمدِّ والجزر في الحياة السياسية في العراق[21]، وهي مرآةٌ لتجربته معها أيضاً، أمَّا السيَّاب فقد أحسَّ بالغربة فيها، وذلك نتيجةً لاختلافها عن الموطن الذي انحدر منه"**جيكور**"[22].

وينظر محمود الربيعي في شعر المدينة عند حجازي ، وعبد الصبور ، فيقول : **(إذا كانت مدينة أحمد حجازي هي مدينة الوحشة، والتوحُّد، والضياع، فمدينة صلاح عبد الصبور هي مدينة "الحزن المقطَّع"، والحزن في شعر صلاح عبد الصبور تجربةٌ كبرى، ولكنَّه يتجلَّى في رؤيته للمدينة كأشجى ما يكون . يواجه الإنسان البسيط حياة المدينة القاسية ، فتترسَّب في نفسه المرارة ، ثمَّ تطفو على السطح طابعةً كلَّ شيء بطابع الحزن . ليس خافياً، ولا بعيداً ذلك الحزن ، فهو يواجهنا منذ أوَّل وهلة، وبتلقائية شديدة)**[23].

إنَّ ما قيل عن السيَّاب ينطبق على هذين الشاعرين، فقد انحدرا من الرِّيف مثل السيَّاب، فأحسُّوا جميعًا بالغربة في المدينة التي تختلف اختلافاً كبيراً عن الريف؛ ممَّا أضفى على شعر المدينة عندهم طابع الحزن.ويرتبط شعر المدينة عند شعراء فلسطين بالتشرُّد والضياع، والحنين إلى مدنهم التي هُجِّروا منها، والتي يحلمون بها دائماً. يقول د. الربيعي في دراسته للمدينة في ديوان محمود درويش "**أُحبُّك أو لا أُحبُّك**": **(وما دمنا لا نستطيع أن نعيشها واقعًا فلا أقلَّ من أن نحتفظ بها صورةً فنيةً)**[24].

وعلاقة الشاعر السوداني بمدينته علاقة حميمة، ويمكن أن تُعدَّ مدينة "**الخرطوم**" نموذجاً لذلك: **(إنَّ أحداً من الشعراء العرب المحدثين لم يعشق مدينته كما عشق الشعراء السودانيون مدينة الخرطوم)**[25]. ولا يختلف نزار قبَّاني في موقفه من المدينة عن شعراء السودان، كما رأينا في بداية هذا البحث[26].

يمثِّل ما تقدَّم أمثلة مختصرة عن صورة المدينة في الشعر العربي، أمَّا صورتها في ديوان المقالح فهي مغايرة إلى حدٍ ما، إنها متنوِّعة بين يمنية، وعربية، وعالمية، ثم تختلف أغراضه منها أيضاً، فحينما يتناول مدينة ما من مدن اليمن، فإن غرضه ينحصر في تصوير واقعها . أو واقع اليمن .؛ لأنَّها في نهاية الأمر جزءٌ منه، ورمزٌ له، ويمثِّل كشف هذا الواقع، والإشارة إلى مواقع الخلل فيه،وأسبابه تعريةً له،وتعبيراً عن الرغبة في فضحه، ورفضه بالثورة عليه.

يصوِّر في قصيدة "**سيف بن ذي يزن في بلاد الروم**" التي تقدَّم ذكرها، الواقع المرَّ، والحزين لمدينة "**صنعاء**" من خلال رموز عدَّة: " **النساء الباكيات**" إشارة إلى المعاناة، و"**شجر بلا ثمر**" إشارة إلى الاستغلال؛ لأنَّ ثماره تذهب إلى "**الأسود الدميم**" رمز الحاكم الطاغية، الذي لا يفكِّر إلا بملذَّاته "**يغتصب ابنتي**"، وبإشباع رغباته الشخصيَّة.

هذا الواقع الحزين والمرير لمدينة "**صنعاء**" لابدَّ من تغييره ،والقضاء عليه بالثَّورة:**(أُريد ثورةً تغسل عن حبيبتي "صنعاء" مهانة العبيد)**، ويقول في المقطع التالي من القصيدة نفسها حاثاً الرجال على المقاومة، والتضحية:

(وكل ليلةا على سماء أرض الروما أقرأ حين ترحل الغيوما حكاية الرجال،والمقاومةاحكاية الذين يجدلون من دمائهم حبال الموت للأعداءاحكاية الذين يرفضون العارا ولا يطيقون الرضوخ والمساومةا من الجماجم النبيلة السمرا يواصلون البذل والعطاء)[320، و323].

إنَّ تصوير الشاعر لليمن، ولمدنه تعبير عن انتمائه إليه،وحبِّه له، وإحساسه بالمأساة التي يعيشها وطنه، وضرورة إزالة أسبابها،والمقالح يحمل هموم وطنه معه حينما يكون بعيداً عنه، فيعبِّر حينئذٍ عن شوقه، وحنينه إليه.

أمَّا صور المدن العربية في الديوان فهي . على قلَّتها . تعبِّر عن موقف قومي، يُؤمن بأخوَّة العرب، وبوحدتهم، ويُؤمن بضرورة طرد الاستعمار من المدن العربية المحتلَّة، ويشعر أنَّ مأساة فلسطين مأساته، ونجده يتماهى معها، ويتَّحد صوته بصوتها: **(عشرون عامًا لم أنم ا عيناي جثَّتان ينهش الظلام فيهما ا وينخر الألم ا حنجرتي مقطوعة ، صرت بغير فم اصرخت‌امات الصوت في الأعماق‌االريح حولي ترسم الإخفاق ا تأكل ماتبقَّى من حروف الأمل القديم ا والأشواق)**[192].

ويبدو الغرض السياسي بارزاً، وواضحاً من خلال ذكره للمدن العالميَّة، إنه غرض يعبِّر عن إيمانه العميق بالفكر الاشتراكي، وحبه واحترامه للدول التي تنتهجه، ظهر ذلك جلياً من خلال تأييده للثَّورة العمَّالية ، ومن خلال إعجابه بمدينة "**بكِّين**" التي يتمنَّى أن يطبع قبلةً على جبينها،وقد رأينا الأشعار التي تصف مدناً عالميةً فيما سبق من البحث[27].

إنَّ شعر المقالح . هنا . ينسجم مع طبيعة الشعر، ومهمَّته: **(إنَّ مهمَّة الشعر هي أن يترك لدينا انطباعاً قوياً بالاتِّحاد العميق الذي لا تنفصم عراهبين الكلمة ومعناها)**[28]، وهذا مابرز في الشعر الذي تناولناه، فهو فنٌ أصيل رفض الواقع، وعوَّل على الجنيني، والمجهول فيه، و استطاع أن ينفذ إلى دواخله؛ ليكشف عن بواطنه، ويفتِّش فيه عمَّا يدعم رؤيته الفكرية [29].

ويبدو المقالح منسجماً فيشعره مع أفكاره النقديَّة في الشعر، فهو . في رأيه . **(صوت يمثِّل ضمير الشعب والشاعر معاً،ويعكس أعماق الإنسان والفنَّان أيضاً، إنَّه صوت الحزن النابت في ضلوع البشر،لقد صار المخلِّص الوحيد القادر على صدِّ العدوان الخارجي والداخلي على السواء،والقادر على طرد أشباح الغربة والخوف)**[10، و11، و13] إنَّه وسيلةٌ تعبيريةٌ استطاعت أن توصل صوتها إلى الآخر، وأن تقنعه بما عبَّرت عنه.

الـدراسـة الـفـنِّيـَّة:

تتناول هذه الدراسة الموسيقا، واستدعاء التراث،و لغة الشاعر في النصوص الشعرية التي تناولت المدينة، فهي الأكثر وضوحاً فيها. تُظهر قراءة هذه النصوص في الديوان ظواهر موسيقية قديمة، وأخرى جديدة، ومن الظواهر القديمة قصيدة "**عمود الشعر**"، التي تُشكِّل حضوراً قوياً في ديوان الشَّاعر، من ذلك قوله في قصيدة عنوانها "**لا بدَّ من صنعاء**" نظمها على بحر الكامل:

يوماً تغنَّى في منافينا القدر لابدَّ من صنعا وإن طال السفر
لابدَّ منها..حبُّنا..أشواقها تدوي حوالينا إلى أين المفر؟
إنَّا حملنا حزنها وجراحها تحت الجفون فأورقت وزكى الثمر[23، و112، و412، و483]

ومن هذه الظواهر الموسيقيَّة "**الترصيع**"،واهتمامه به واضح جداً، فقد ظهر في مطلع الأبيات السابقة، وفي قصائد أُخرى كثيرة (412، و425، و435، و456، و483) ، ومنها أيضا"**التدوير**"، وهو(**البيت الذي اشترك شطراه في كلمة واحدة بأن يكون بعضها في الشَّطر الأوَّل، وبعضها في الشطر الثاني، كقول المتنبِّي:**

أنا في أُمَّة تداركها اللـــــــه غريبٌ كصالح في ثمود)[30]

وكما في قصيدة "**عاش الشعب**" من مجزوء الكامل:

وثأرت يا صنعاء رفعـــــــت رؤوسنا بعد انكسار

أخرجت من ظلماتك الـــــــحبلى أعاصير النهار

وولدت هذا اليوم بعـــــــــد ترقُّب لك وانتظار

فأتى كما شاءت إراداتالمنى وهـج انتصار[112]

وربَّما يعود اهتمامه بالنظم على نهج القدماء؛ لأنه بدأ به أولاً، مثله مثل "**أدونيس**"،و"**نزارقباني**"،وغيرهما، فهو من جيل الروَّاد، كما أن صلة الشاعر الحديث بنهج القصيدة القديمة لم تنقطع انقطاعاً تاماً، ففي الشعر العربي الحديث ظواهر شعرية كثيرة مستمدَّة من الشعر العربي القديم . رأينا بعضها هنا . .

ويأخذ التدوير شكلاً آخر في الشعر العربي الحديث،وهو أن يكون على مستوى المقطع الشعري كلِّه، فلا يمكن الوقوف عند قراءته إلا حينما ينتهي المقطع، ويكون هذا عادة عندما يستخدم الشاعر أسلوب القصِّ، وأسلوب السرد الممتد، الذي يُعنى بتقديم الحدث [31]. يقول المقالح في المقطع الأوَّل من قصيدة "**عدن ..ودونكيشوت**": **(بعيدة \ بعيدة عدن \ الشمس يا ملوَّث اليدين \ يا ملوَّث الأفكار والبدن \ أقرب من عدن \ فاركب حصانك الهزيل ، شُدَّ سيفك المكسور \ حلِّق وراء .. خارج الزمن \ فتِّش لأحلامك يا مأفون عن قبور \ فتِّش لأوهامك عن وطن)**[163، و164، و:347، و456]. حينما نقرأ المقطع . متجاوزين السطر الأوَّل،والثاني . فإنه لا يمكننا التوقُّف حتى نهايته.

ومن الظواهر الموسيقيَّة الجديدة في الديوان، والتي اقترنت بالشعر العربي الحديث . عموماً . قصيدة التفعيلة التي تخلَّت عن البيت الشعري ذي الشطرين، وتخلَّت عن القافية الواحدة، يقول المقالح في المقطع الأوَّل من قصيدة "**رحلة شمس**" الذي نظمه على تفعيلة المتدارك: **(الرحلة قادمة، وقطار الفجر يسير \ لا تنكسري (صنعاء) \ لا تجزع يا نُقُمَ التحرير \ النيل يطير \ النيل إليك يطير \ تحمله الشمس تطير به \ فوق صحارى الليل العطشى \ فوق حقول (البن) المهجور \ لن يرجع ليلك يا (صنعاء) \ ليل الأمس المقبور \ الجيش القادم جيش صلاح الدين\ مُدِّي كفيك هنا (الناصر) \ قد عاد إلينا من "حطِّين")**[119، وهذا كثير في الديوان :317، و343]. لقد حلَّ السطر الشعري محلَّ البيت الشعري، ونوَّع في عدد التفعيلات في السطر الشعري "6"في السطر الأوَّل ، و"2"في السطر الثاني،و"5" في السطر الثالث،وهكذا في بقيَّة الأسطر، ونوَّع في الروي أيضاً،وجعل القصيدة في ثلاثة مقاطع شعريَّة متنوِّعة في عدد التفعيلات، وفي الروي،وفي طول السطر، وقصره.

ومن الظواهر الموسيقيَّة الجديدة "**التناوب**"، وهو **(تكوين القصيدة موسيقياً من الشَّكلين: التقليدي، والحر، وغالباً ما يأتي هذا التناوب على شكل مقاطع)**[32] فقد جعل الشاعر في قصيدة "**السفر في ذاكرة الأبجديَّة**" المقطع الأوَّل على الطريقة القديمة في تراثنا الشعري،وهو مختارات من الشعر العربي القديم والحديث، وعلى منواله جعل المقطع الخامس،وهو من الفولوكلور الشعبي اليمني، ونظم ثلاثة مقاطع "2، و3، و4" على تفعيلة "فاعلن" من المتدارك [553]،وتبدو هذه الصورة بوضوح في قصيدته "**هوامش يمانيَّة على تغريبة ابن زريق البغدادي**" [453]، فالقصيدة كلُّها

قائمةٌ على التناوب بين الشَّكلين: التقليدي، والحر، فقد بدأها بالبحر البسيط إلى جانب تفعيلة البسيط نفسه، وتكرَّر هذا في بقية القصيدة على الطريقة نفسها،وكأنَّ المقالح يُضفي على موضوع المدينة الجديد في شعره أساليب جديدة تتواءم معه وإنَّه يدخل عالم الحداثة الشعرية، وعينه على موضوعاتها،وأساليبها.

أمَّا صلة الشاعر بالتراث، فهي واضحة،وقوية، شأنه في ذلكشأن شعراء جيله الذين تجاوبوا مع ما أسماه (إليوت)"**الحاسَّة التاريخية**": **(تلك الحاسَّة التي لا يتأتَّى الاستغناء عنها لمن ينتوي الاستمرار في كتابة الشِّعر بعد سنِّ الخامسة والعشرين. ولا تتضمَّن الحاسَّة التاريخية إدراك ماضي الماضي فحسب. بل حاضره أيضا .....والحاسَّة التاريخيَّة التي هي حاسَّة اللازمني بقدر ما هي حاسَّة الزمني، والتي هي حاسة اللازمني والزمني معاً، هي التي تجعل من الكاتب كاتباً تقليدياً. وهي في ذات الوقت التي تجعله يعي مكانه داخل الزمن، يعي عصريَّته وعياً مرهفاً)**[33]. هذه الحاسَّة التاريخيَّة تفيد كثيراً في التعرُّف على الواقع المعاصر، وإنَّ الابتكار الحقيقي هو الذي يختار من التراث ما يخدم هذا الواقع الحاضر، ويعمِّق معرفتنا به.تجلَّى حضور التراث في شعر المدينة في الديوان المدروس في مظاهر عدة: منها بعض الظواهر الموسيقية . وقد رأيناها سابقاً . ، ومنها استدعاء بعض الشخصيَّات التراثية، وبعض أحداثه، و لغته متمثِّلة في الشعر العربي القديم.

برزت الشخصيات التراثية بأسلوبين: الأوَّل القناع، كما في قصيدة "**من يوميَّات سيف بن ذي يزن في بلاد الروم**"(317، وينظر: "**من يوميَّات سيف بن ذي يزن في بلاد الفرس**"، 327 التي تقنَّع فيها بشخصية سيف أيضاً) التي يستدعي فيها شخصيَّة "**سيف بن ذي يزن**"، ويجعلها قناعاً له،والثاني: استدعاء الشخصيَّات التراثيَّة دون أن يجعل منها قناعاً، وهذا كثير، ومصادره متنوِّعةٌ أيضاً.

يستدعي الشاعر في قصيدة "**رحلة شمس** " [119]التي يتحدَّث فيها عن مدينته المفضَّلة "**صنعاء**" شخصيَّتي"**صلاح الدين الأيُّوبي**" ، و"**بلقيس**": **(لن يرجع ليلك يا صنعاء \ ليل الأمس المقبور \ الجيش القادم جيش صلاح الدين \ مُدِّي كفَّيك هنا الناصر \ قد عاد إلينا من حطِّين ... يا رحلة شمس عربيَّة \ عبرت شرقاً \ طافت فوق بلادي \ أفقاً أفقاًاعبرتها في ليلٍ شاتٍ \ وجدت بلقيس اليمنية اتبكي)**. وفي شعره استدعاء لأسماء تراثيَّة كثيرة، منها : **أبرهة، وعيروط، ومنية النفوس، وكسرى، وعاقصة، وابن زريق البغدادي، والسندباد،** وغيرها كثر (320،و 324،و325،و 332،و335،و 437،و 440،و443،و 574،و578،و 580،و582).

ومن المظاهر التراثيَّة ذكرُ أحداث بارزة فيه، مثل معركة "**حطِّين**" في القصيدة السابقة "**رحلة شمس**"،ومثل رحلة امرئ القيس إلى بلاد الروم، ورحلة **سيف بن ذي يزن** أيضاً، ومثل حادثة أهل الكهفالتي ورد ذكرها في القرآن الكريم (381، و333، و444)،وغيرها.

ولم يغب شعرنا التراثي عن موضوع المدينة في ديوان المقالح،فقد كان له حضور واضح فيه، ففي قوله: **(بكيت للصحراء .. للخيام \ ناجيت جارتي غريبة الديار \ شربت خمرةً عتيقة الشجون والآلام\ ولم أزل في الأسر لا وجهي ملكته ولا الكلام\ غرقت ،\ ضعت في الزحام)**[321، و322] تناصٌ واضحٌ مع روميات أبي فراس الحمداني، ومع امرئ القيس في قوله:

أجارتنا إنَّ الخطوب تنوب وإنِّي مقيمٌ ما أقام عسيب
أجارتنا إنَّا غريبان ها هنا وكلُّ غريب للغريب نسيب[34]

ويحضر الشعر التراثي حضوراً تاماً في ديوان المقالح، كما في قصيدة "**هوامش يمانية على تغريبة ابن زريق البغدادي**" [435]، ومنها قوله:

ماذا أكون ؟ لمن أبكي؟ ألا وطنٌ في ظلِّه يرتوي عمري ،وأزرعه
قد كان لي ثمَّ أضناني تمزُّقه وهالني في ظلام الليل مصرعه
(ودَّعتُه، وبودِّي لو يودِّعُني صفوُ الحياة ، وأني لا أودِّعه)
بعدت عنه لأبكيه وأبعثه من قبره . هل أنا بالبعد أخدعه؟

فقد حضر . هنا . بيت ابن زريق البغدادي، الذي وُضِع بين قوسين من قصيدته ذائعة الصيت، والتي مطلعها:

لا تعذليه فإنَّ العذل يولعه قد قلتِ حقاً، ولكن ليس يسمعه[35]

ولكنَّ المقالح وظَّفه توظيفاً مغايراً لتوظيف ابن زريق الذي جعله في حبيبته، بينما حلَّ الوطن محلَّ الحبيبة عند المقالح، وكأنه يوحِّد بين حال العشَّاق ماضياً، وحاضراً، ويوحِّد بينهم مهما تغيَّر المعشوق. ويوظِّف أحياناً بعض الأمثلة العربيَّة في شعره، مثلما فعل في المثال العربي المشهور:"**تجوع الحرَّة ، ولا تأكل بثديها**"[582].

يضفي اتِّكاء الشاعر على التراث في ديوانه غوراً في الزمان، وعمقاً إنسانيًا في المعاناة، فتصبح مشاكل الإنسان المعاصر امتداداً لنظيرتها في الأمس البعيد؛ مما يوحِّد بين هموم البشر، ويجعل نضال الحاضر امتداداً لنضال الأمس. إن تاريخ البشرية واحد، ومحاربتها للطغاة واحدة أيضاً، لابدَّ من أن ينتصر الحق، ويستعيد الإنسان حريته، وحقوقه. وكأنَّ الشاعر يعود إلى الماضي؛ ليضيء الحاضر، ويوحِّد ثورة الإنسان عبر الزمان،فيتَّصل الماضي بالحاضر ليشكِّلا نقطة الانطلاق إلى المستقبل.

الخاتمـــة:

لقد تناول البحث مفهوم المدينة في الأدبين: العالمي، والعربي عموماً، وفي ديوان الشاعر المقالح على وجه التفصيل، الذي تنوَّعت المدن فيه،فكانت يمنيةً مرَّةً، مثل "**صنعاء**" ، وعربيةً مرَّةً أخرى، مثل "**القاهرة**" ، وعالميةً، مثل"**بكِّين**"، وتناول توظيف الشاعر لصورة المدينة، ودرس استدعاءه للتراث: أحداثه، وشخصياته،ولغته،وتطرق إلى بعض الظواهر الموسيقية في الديوان، وخلص إلى النتائج التالية:

1-ارتبطت صورة المدينة عند الشاعر ارتباطاً وثيقاً بواقع اليمن المر.

2-تنوعت المدينة عنده، فكانت يمنية، وهي الغالبة، ثمَّ عربية، وعالمية.

3-وظَّف المقالح صورة المدينة للتعبير عن قضايا يمنية بالدرجة الأولى، ثم للتعبير عن قضايا عربية، وعالمية.

4-أظهر البحث أنَّ التراث كان حاضراً في شعر المدينة؛ مما أضفى عليه غنى فنياً، وعمقاً إنسانياً.

5-قدرة الشاعر على التأثير في القارئ؛ لأنَّ ما يخرج من القلب يصبُّ في القلب.

الهوامـش:

1-د.الربيعي،محمود.الشاعر والمدينة. عالم الفكر، وزارة الإعلام، الكويت، مجلّد 19،عدد3، 1988، ص133.

2-د. أبو غالي، مختار. المدينة في الشعر العربي المعاصر، عالم المعرفة، الكويت، عدد196، ص 7و8.

3-ينظر: عفَّاق، قادة. دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر، دراسة في إشكاليَّة التلقِّي الجمالي للمكان، اتِّحاد الكتَّاب العرب، دمشق،2001، ص 380،و381.

4-ينظر: د. إسماعيل، عزالدين. الشعر العربي المعاصر، قضاياه، و ظواهره الفنية والمعنوية، دار العودة ودار الثقافة، بيروت، طبعة 2، 1972، ص 326.

و: د. أبو غالي، مختار. المدينة في الشعر العربي المعاصر، ص 10.

5-ينظر: د. أبو غالي، مختار. المدينة في الشعر العربي المعاصر، ص 8، و9.

6-د. دهمان، أحمد علي. الاتِّجاه الواقعي الشعبي في الشعر العبَّاسي "الصراع بين الأخوين أنموذجاً"، وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، دمشق، 2004، ص103.

7-د. الربيعي، محمود.الشاعر والمدينة، عالم الفكر، ص136.

8-المرجع السابق، ص151.

9-يُنظر: د. أبو غالي، مختار.المدينة في الشعر العربي المعاصر، عالم المعرفة، ص14.

و: د. الربيعي، محمود.الشاعر والمدينة، عالم الفكر، ص146.

10-د. بدوي، محمَّد عبده.الشاعر والمدينة في العصر الحديث، عالم الفكر، مجلد19، عدد3، 1988،ص196.

11-يُنظر: د. هنيدي، نزار بريك. وقائع الندوة النقدية التكريمية للمبدع الشاعر العربي الكبير عبدالرزاق عبدالواحد، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2009، ص106.

12-قبَّاني، نزار. الأعمال السياسية الكاملة، منشورات نزار قبَّاني،بيروت ط2،1999، ص441.

ويُنظر: قبَّاني، نزار. الأعمال الشعرية الكاملة، منشورات نزار قبَّاني، بيروت،ط6، 1986،ج2، قصيدة "إلى الأمير الدمشقي توفيق قبَّاني 1949 . 1973"،ص277.

ويُنظر: قبَّاني، نزار. الأعمال السياسية الكاملة، منشورات نزار قبَّاني، بيروت، دون ط، ودون ت، قصيدة "مفكِّرة عاشق دمشقي" ، ص 417،و 418 ، وقصيدة "ترصيع بالذهب على سيف دمشقي" التي يذكر فيها مدينة دمشق، وحاراتها، والحبُّ والحنين إليها يملآن قلبه، و قصيدة "موَّال دمشقي" التي يقول فيها:يا شام يا شامة الدنيا و وردتها يامن بحسنك أوجعت الأزاميلا ص517، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تُحصى.

13-د. حدَّاد، علي. عشبة آزال، قراءات في الشعر اليمني المعاصر، اتِّحاد الكتَّاب العرب، دمشق، 2002، ص222.

14-المرجع السابق، ص227.

15-المرجع السابق، ص 230، و231.

16-د. المقالح، عبدالعزيز. الشعر بين الرؤيا والتشكيل، دار العودة، بيروت، ط1، 1981، ص 201.

17-المرجع السابق، ص 205.

18-المقالح عبدالعزيز. ديوان عبدالعزيز المقالح، دار العودة، بيروت، ط3 ،1983، ص322، و323. **ستتمُّ الإحالة على هذا الديوان في متن البحث مكتفيًا برقم الصفحة.**

*هكذا وردت في الديوان، والصواب "يابنة"

19-يُنظر د. أبو غالي. مختار، المدينة في الشعر العربي المعاصر، 121، ومايليها.

و: د. عبَّاس، إحسان.اتِّجاهات الشعر العربي المعاصر، عالم المعرفة، المجلسالوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، شباط، 1988،ص114.

20- د. أبو غالي، مختار. المدينة في الشعر العربي المعاصر، ص170.

ويُنظر: قصيدة "السفر في ذاكرة الأبجدية" من ديوان المقالح الذي بين أيدينا، فقد ذكر فيها مدينة غرناطة مرَّتين، بدت فيهما مهدا للفرسان الثائرين، وأماً للشهداء المنذورين، ص555، و556.

21- يُنظر: د. عبَّاس، إحسان.اتِّجاهات الشعر العربي المعاصر، عالم المعرفة، ص 127.

22- يُنظر: د. أبو غالي، مختار. المدينة في الشعر العربي المعاصر، عالم المعرفة، ص 14.

23- د. الربيعي، محمود.الشاعر والمدينة، عالم الفكر، ص 146.

24- المرجع السابق، ص 172.

25- المرجع السابق، ص196.

26- يُنظر: ص 7 من البحث.

27- يُنظر: ص 11 من البحث.

28- د. فضل، صلاح . نظريَّة البنائيَّة في النقد الأدبي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط 3، 1985، ص348.

29- يُنظر: عقَّاق، قادة.دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر، دراسة في إشكالية التلقِّي الجمالي للمكان، ص 382.

30- الكبيسي، طراد.التدوير في القصيدة الحديثة، الأقلام، العدد الخامس،بغداد، السنة الثالثة عشرة،ك2، 1978، ص5.

31- د. اطيمش، محسن. دير الملاك، دراسة نقدية للظواهرالفنية في الشعر العراقي، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة دراسات، 1982،301، ص 330.

32- المرجع السابق، ص 285.

33- إليوت، ت، س. مقالات في النقد الأدبي، مكتبة الإنجلو المصرية، دون ط، ودون ت، ص 7و8.

34- امرؤ القيس، ديوان امرئ القيس، دار صادر،بيروت، دون ط، و دون ت، ص99.

35- خليل بن إيبك الصفدي، صلاح الدين. الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط؛ وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 2000، ج21، ص76.

المصادر، والمراجع، والدوريّات :

1- د. إسماعيل، عز الدين. الشعر العربي المعاصر، قضاياه، وظواهره الفنِّية والمعنويَّة، دار العودة، ودار الثقافة، بيروت،ط 2 ، 1972 .

2- د. اطيمش ، محسن . دير الملاك ، دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر ، دار الرشيد للنشر ، الجمهورية العراقية ،منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، سلسلة " دراسات " 301 ، 1982 .

3- إليوت، ت،س.مقالات في النقد الأدبي، مكتبة الإنجلو المصرية، دونط، ودونت .

4- امرؤ القيس ، ديوان امرئ القيس ، دار صادر ، بيروت ، دون ط ، ودون ت .

5- د. حدَّاد،علي.عشبة آزال،قراءات في الشعر اليمني المعاصر، اتِّحاد الكتَّاب العرب، دمشق، 2002.

6-خليل إيبك الصفدي ،صلاح الدين . الوافي بالوفيات ، تحقيق أحمد الأرناؤوط ؛ وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي ،بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2000 .

7-د. دهمان ، علي أحمد . الاتِّجاه الواقعي الشعبي في الشعر العبَّاسي "الصراع بين الأخوين أنموذجاً" ، وزارة الثقافة ، الجمهوريَّة العربيَّة السوريَّة، دمشق ،2004.

8-عفَّاق ، قادة . دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر ، دراسة في إشكالية التلقِّي الجمالي للمكان ، اتِّحاد الكتَّاب العرب ، دمشق ، 2001.

9-د. فضل ، صلاح . نظرية البنائيَّة في النقد الأدبي ،دار الآفاق الجديدة ، بيروت ،طبعة3، 1985 .

10-قبَّاني ، نزار. الأعمال الكاملة ، منشورات نزار قباني، بيروت، طبعة 2، 1999 .

11-المقالح ، عبد العزيز . ديوان عبد العزيز المقالح ، دار العودة ، بيروت ، ط 3 ، 1983 .

12-المقالح ، عبد العزيز، الشعر بين الرؤيا والتشكيل، دار العودة ، بيروت، طبعة 1981،1.

13-د.هنيدي ، نزار بريك . وقائع الندوة النقديَّة التكريميَّة للمبدع الشاعر العربي الكبير عبد الرزَّاق عبد الواحد، منشورات الهيئة العامة السوريَّة للكتاب ، وزارة الثقافة دمشق ، 2009.

14-د.أبو غالي ، مختار . المدينة في الشعر العربي المعاصر ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، عدد 196 ، 1995.

15-د.بدوي ، محمد عبدو .الشاعر والمدينة في العصر الحديث ، عالم الفكر ، وزارة الإعلام ، الكويت ، مجلد 19 ، عدد 3 ، 1988.

16-د.الربيعي، محمود.الشاعر والمدينة، عالم الفكر، وزارة الإعلام، الكويت، مجلَّد 19، عدد 3، 1988.

17-د. عبَّاس ، إحسان . اتِّجاهات الشعر العربي المعاصر ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، شباط 1988.

18-د.الكبيسي ، طراد .التدوير في القصيدة الحديثة ، الأقلام ، العدد 5 ، السنة 13 ، كانون2 ، 1978.